الباب السابع

فى أمزجتها وخواصها وأدوائها وعلاجاتها

وما يتصل بذلك

أما مزاج الخيل فأنه حار رطب تغلب عليه الهوائية، وسماها بعضهم بنات الريح وهى أقرب الحيوان إلى مزاج الإنسان. وفى طبعه الزهو بنفسه والخيلاء والسرور والمحبة لصاحبه حتى أن بعضها تمتع غيره من ركوبها والأنثى ذات سبق شديد ولذلك تطيع غير جنسها وتعرف بالحيض.

ذكر الجاحظ وغيره أن الخيل تحيض كالنساء لكن حيضها قليل وهى ترى المنامات كالإنسان.

ونقل الدميرى عن المجالسة للدينورى أنه نقل عن أبى عبيدة وأبى زيد أنهما قالا الفرس لا طحال له، والبعير لا مرارة [له] والظليم لا مخ له. وأنكره بعضهم وحمله على المبالغة يعنى ان الفرس يفعل فعل من لا طحال له الخ.

قال أبو زيد وكذلك مطير الماء وحيتان البحر لا السنة لها ولا أدمغة والسمك لا رية له ولذلك لايتنفس.

(وأما خواص الفرس) فقد قدمنا أنه لايخبل الشيطان أحداً فى دار فيها فرس. ولحم الفرس غليظ يقال أنه يطرد الرياح. وعرقه إذا طلى به ابط الصبى لا ينبت عليه شعر، وإذا جعلت شعرة من ذنبه على باب بيت ممدودة لم يدخل

ذلك البيت بق ما دامت الشعرة. وسن العربى منه إذ علقت على ضبى سهلت طلوع أسنانه، وإن وضع على رأس من يغط فى النوم انقطع غطيطه. ورماد حافر الفرس إذا خلط بزيت وجعل على الخنازير أبرأها، وذبله الجاف إذا سحق وذر على الجراحات قطع دمها وإن كحل به البياض العارض فى العين أزاله، وإن دخن به أخرج الولد من البطن، وإن سقيت امرأة لبن فرس وهى لا تعلم أنه لبن فرس وجومعت من ساعتها حملت. وإن شربته مع العسل زادت لذة جماعها كذا قيل.

واصح الحبل ما لم يجاوز الثمان سنين؛ فقد قيل إن الثمانية للفرس بمنزلة الأربعين للإنسان يعقبها الأنحطاط، وقيل أنها كالإنسان يعنى أنها تبقى قوتها إلى الأربعين وربما عمرت إلى التسعين.

كذا رأيناه فى بعض المؤلفات وفيه نظر إلا أن يقال هذا باعتبار الأقطار والأعصار والا فلا صحة له فيما تعلم.

وقيل غاية النفع بها إلى ثلاثين عاماً وبعده لاتبقى وإن بقيت لا ينتفع بـــها وهو الغالب من حال خيل الشام والروم. وقيل ما دام أسفل اللثة اسود فهى نافعة.

وأحسن الأيام للحمل على الفرس أوائل الربيع ليأتى الفلو فيه فأنها أكثر ما تحمل سنة فيأتى أعدل الأوقات فلا يضره برد الشتاء ولا حر الصيف.

وينبغى أن تلزم الراحة بعد الحمل عليها مدة، وان لاتعلف رطباً كذلك وأكثره شهر. وربما تعالج للحمل إذا طرقها الفحل ولم تحمل مراراً بأخراج الأم

بلطف وغسلها وإعادتها. وهذا يفعله العرب كثيراً.

لكن إنما يصلح إذا غلبت على الفرس الرطوبة وعلامته سيلان شئ من الرحم. وإذا غلبت اليبوسة سقيت من الراوند التركى مع دبس العنب وحملت صوفة من نشارة العاج ولبنها فأنها تحمل إن شاء الله تعالى مجرب.

و(أما أدوآؤها وعلاجاتها) فهى أنواع، منها ما هو من قبيل الأخلاق كالحرن والعفاص والجماح والجفول والرمح والطمح والشغر والشبابة ونحوها فعلاج أمثال هذه بالرياضة وحسن الركوب وذلك يرجع إلى الراكب فيحتاج إلى مزيد معرفة وطول ممارسة للخيل وحسن دربة بركوبـــها. وأهم ذلك وقار الراكب وحَله وعدم تسرع الغضب إليه واصطباره على شراسة أخلاق الفرس مع طول الركوب وتخفيف العلف قليلاً. وآداب الفرس لاسيما فى الفضاء الواسع.

وقد يحتاج إلى تثقيل اللجام وتضييقه أو سعته ونحو ذلك مما لا يخفى على من له دربة بالخيل . ولم نر لرياضتها انفع من وقار الراكب وطول الركوب مع التؤدة فى المشى، فأن احضارها يحرك كوامن أخلاقها. فإذا دأبت على تلك الحال تطبعت وتنقلت أخلاقها فأنها أصح الحيوانات مزاجاً بعد الإنسان، ولذلك تقبل التعليم ويؤثر فيهاالرياضة. حتى أن بعضها يؤدب بأنه يبرك على ركبه عن لقاء الأمير. وبعضها يمشى على الحائط الرقيق إلى غير ذلك.

(ومنها) ما هو من قبيل الأمراض فليعلم أن ذلك على نوعين: منها ما

يعم الإنسان وغيرها ويكون علاجه واحداً، فمثل هذا يؤخذ معرفته وعلاجه من كتب الطب. غاية ما يفرق بينهما بأن الدواء الذى يعطى للحيوان يكون فى الكمية والكيفية فوق ما يعطى للإنسان بحسب افتراق المزاجين فى الرتبة التى بـــها الأجتماع، ولايخفى على الفطن ذلك.

كما يحكى عن الرازى أنه دخل يوماً على السلطان وهم يعرضون عليه فرساً كان يحبه كثيراً والفرس يتألم ألماً زايداً حتى أنه سقط إلى الأرض ولم يبق فيه إلا النفس واضطرابه من الألم، وقد تألم السلطان لذلك وأشرف للفرس على الهلاك. فنظر إليه الرازى الحكيم فعلم أن تأله من جنس القولنج الذى يعرض للإنسان ففكر فى ذلك وفيما يوافقه فأخذ من المفتحات القوية مقدار ما يعطى الإنسان مرتين أو ثلاثة وجعلها فى شئ من المياه المناسبة لذلك وسعطه للفرس فحين استقر فى معدته أثر فى دفع الريحية فقام الفرس فسقاه أيضاً شيئاً من المسهل كذلك فشفى رأساً.

قال وكان ذلك الفرس كلما مررت به نظر إلىّ نظر متودد.

قال الشيخ داود رحمه الله قد تقرر أن كل متحرك بالارادة فهو من الأخلاط الأربعة وكل كائن منها فهو معروض عرضى صحة وفساد فيحتاج إلى تعديلها فيه بحسب الطاقة مع ملاحظة ما بين الإنسان وغيره من اختلاف الأغذية والتركيب وما يجب لذلك من كميات الدواء وأنواعه فعليك بالتعديل بحيث يقارب فى الخيل مزاج الإنسان إلى آخر ما ذكره.

من ذلك البرص والبهق، والأول لا يعم جميع البدن فيما عدا الإنسان.

ومما ينفع فيهما سقى ماء الصعتر والبصل والدلك بماء الليمون والنطرون والنوشادر. ومنه الجرب وينفع منه هنا ساق الحمام والقلى والعفص وجوز السرو ودخان الفرن وبعر الماعز فهذه مفردة ومجموعة كبوسات نافعة فى ذلك، وكذا الرماد مع الملح وورق الدفلى، ومتى كثر تقشير الجلد ولا رطوبة فالغالب السوداء أو كانت رطوبة مثل النخالة ورقت المادة وكثرت الحرارة فالصفراء أو توفرت الجراحات أو الرطوبة فالبلغم حيث لا حرارة أو معها فالدم وعلاج كل لايخفى على الطبيب مع رعاية ما قدمنا من اعتبار الزيادة والقوة.

ومما يعرض لها من ذلك الجفون وتحريك الرأس وثقل الحركة والمغلة وهى شبيهة بالقولنج فى الإنسان وينفع منه فصد الودجين.

ومما ينفع فى هذه كلها فصد البارزنكين وهما عرقان فى جانبى الدماغ مما يبلى الأذنين ومما ينفع من المغلة فصد الأذرعين وهما العرقان الممتدان مما يلى اللية إلى باطن الدماغ.

ومما ينفع من المغلة احتمال فتايل من الحلتيت والأشق والحنظل ونفخ شئ من الفلفل فى احليل الذكر ورحم الأنثى فى ماسورة وسقى ماء الحلبة ومرارة الدب بالسمن. وكل ما ينفع الإنسان من القولنج مع رعاية القوانين. ومن اليرقان ومهو على حكمه فى الإنسان . وينفع فيه هنا فصد عرق الرأس إن اشتدت صفرة العين، والا فعرق الذنب والمحازم.

وإن عم الصفار واستحكم المرض تفصد الثلاثة وينفع فيه طبخ بزر

الهنديا والرواند الصينى بشراب فيسعط أو يسقى.

ومن أمراضها الحيات وهى كذلك وتزيد هنا فصد الودجين وشرب رماد قصب السكر والأحتقان بالزيت والكمون والجبن والشيرج والأبـنـهل والخمر وتمر مثل الكل. قاله الشيخ داود البصير، وقال ظاهر كلام الكامل إن الخمر يبدل باللبن وبالعكس.

قالوا ويجتنب هنا أكل الشعير ويجب فى سائر الأمراض الحارة اليابسة علف الخضروات وفى ضدها العكس.

[ومنه] ضعف الكلى ويعرف هنا بحمرة البول وذبول الجلد والشعر، ولايزيد عن علاج الإنسان إلا الكى مما يلى الذكر إلى ملتقى الأضلاع ستة من كل جانب بين كل اثنين نحو أصبعين وشرب أصل السوسن بالسكر وجعل السفرة مع العلف.

[ومنه] الخفقان ووجع القلب فهما كالمغلة وقرحة الرية فكما فى الإنسان ويزيد رماد قصب السكر بالزعفران.

[ومنه] المفاصل والنقرس ونحوهما كالنقار وهو ما حصل فى قائمة واحدة. ويعلم بالورم أو بضعف الحركة وعلاجه الزايد هنا قصد بطون القوايم وكى القناة . أعنى قصبة الرجل والنطولات والضمادات بكل حار محلل كالأكليل والبابونج والحلبة وأصل الكبر والبزر والخطمية والقولنج والمغاث فأن لم يتمحض البرد سبباً عجنت بالعسل والا انحل وزيدت دقيق الفول.

ومن الأمراض ما يختص بالفرس. فمنها الأهليلجة وهى المسماة الآن

ومنها الكوكب وسببه فساد أكل مقرد فأنه يجمع البخار الرطب فيبرد وعلاجه إن كان صلباً التلبين بالسمن والقنة وسائر الصموغ وزبل الحمام لصوقاً ثم يبضع.

ومنها الجمرة وهى عرض سببه العطش الكثير. قيل ولابد وأن يتقدمه آكل كثير وعلامته ثقل المشى والنفاخ وثقل الصدر ويبس الأعضاء وعلاجه بفصد اى العروق كان. وأولاه على ما قرروه وجربناه من اليدين من حد الحافر مما يبل الشعر.

قال الشيخ داود والذى جربناه عرق الجبهة ثم السعوط بماء الورد والكافور والنطول بالحشايش الحارة كالجساد والبابونج.

ومنها شئ يقال له العظم المعترض يتكون فى المفاصل خصوصاً فوق الركبة، وسببه المشى فى الوهاد والجبال وكثرة المشى. وعلاجه لصق كل ملين كالزبيب وعنب الذئب والزعفران ما تيسر من ذلك. والطلى بالشونيز والعسل.

ومن أمراضها ما يختص بالقوائم، فمنها المشش ورم ينتو فى العصب من غير نفود فالكرد مثله لكن بنفود فى الأطراف، فالتعقيد وهو غلظ أحد القوائم على نحو داء الفيل فالأنتشار وهو ورم تحت الركبة يذود كالعصب، فالقذل وهو انتفاخ فى بيت قردان أو فوقه والفتق.

وأما عظم السبق فخراج فى الوظيف تحت الركبة. ومادة الكل خلط غليظ ينصب عن سبب عنيف كحمل ثقيل وركض فى صلب.

وقد تثقل المادة وحينئذ فلا يطمع بالعلاج وإلا عولجت باللصاقات المصنوعة من الصموغ والحنظل الرطب والمقل والأشق والثوم والعذرة الرطبة مجربة لصوقاً على الصوف. وكذا الميعة بالزيت. ويزاد للترهل النطول بالنخالة والبابونج وتين الفيل والأكليل. وقد يبضع وقد يحتاج فيها إلى شرب الراوند، ولم يخط جرح هذه لتعلقها بالعصب بل يحشى بالمدملات مثل الصبر والديون والكادى والفوفل وقرفة البحر.

ومن هذا النوع الشرطان، وهو خراج فى الحافر وينفع منه ما تقدم، وقد يكوى وعظم السبق يكوى أيضاً برفق.

ومنها النفاخات فتستزل ثم تكوى شباكاً ويلصق على الكل السدر والصابون والخل وكذا القمع.

وأما ما يسمى هنا مفصل اليسار فتزلات. فى الوركين على حد عرق النسا فى الإنسان وعلاجها الكى دائرة ووضع المسخنات ضماداً كالزنجبيل وتطولا كالحلبة ودهناً كالنفط. وكذا الثوم إذا غلى بالخل ومثله وجع الركبة.

ومنها الحنظل وهو انحلال العصب بحيث يفارق المفصل مركزه وسببه شرب على تعب تقدم أو تأخر أو حمل ثقيل. وعلاجه الكى دائرة بمحله والضماد بالقوابض كالعفص. ومنها ريح الخمال وهو ورم فى أصل الفخذ إلى آخر الرجل. وقد لا يغم وسببه بخار أو ريح ينضغط بين الأغشية وعلاجه الضماد بالجاورسن حاراً وكذا النخلة والعذرة.

وأما القروح والدبرات التى تحصل من ميل السرج أو الراكب أو من

ومنها الكوكب وسببه فساد أكل مقرد فأنه يجمع البخار الرطب فيبرد وعلاجه إن كان صلباً التلبين بالسمن والقنة وسائر الصموغ وزبل الحمام لصوقاً ثم يبضع.

ومنها الحمرة وهى عرض سببه العطش الكثير. قيل ولابد وأن يتقدمه آكل كثير وعلامته ثقل المشى والنفاخ وثقل الصدر ويبس الأعضاء وعلاجه بفضداى العروق كان. وأولاه على ما قرروه وجربناه من اليدين من حد الحافر مما يبل الشعر.

قال الشيخ داود والذى جربناه عرق الجبهة ثم السعوط بماء الورد والكافور والنطول بالحشايش الحارة كالجساد والبابونج.

ومنها شئ يقال له العظم المعترض يتكون فى المفاصل خصوصاً فوق الركبة، وسببه المشى فى الوهاد والجبال وكثرة المشى. وعلاجه لصق كل ملين كالزبيب وعنب الذئب والزعفران ما تيسر من ذلك. والطلى بالشونيز والعسل.

ومن أمراضها ما يختص بالقوائم، فمنها المشش ورم ينتو فى العصب من غير نفود فالكرد مثله لكن بنفود فى الأطراف، فالتعقيد وهو غلظ أحد القوائم على نحو داء الفيل فالأنتشار وهو ورم تحت الركبة يذود كالعصب، فالقذل وهو انتفاخ فى بيت قردان أو فوقه والفتق.

وأما عظم السبق فخراج فى الوظيف تحت الركبة. ومادة الكل خلط غليظ ينصب عن سبب عنيف كحمل ثقيل وركض فى صلب.

وقد تثقل المادة وحينئذ فلا يطمع بالعلاج وإلا عولجت باللصاقات المصنوعة من الصموغ والحنظل الرطب والمقل والأشق والثوم والعذرة الرطبة مجربة لصوقاً على الصوف. وكذا الميعة بالزيت. ويزاد للترهل النطول بالنخالة والبابونج وتين الفيل والأكليل. وقد يبضع وقد يحتاج فيها إلى شرب الراوند، ولم يخط جرح هذه لتعلقها بالعصب بل يحشى بالدملات مثل الصبر والديون والكادى والفوفل وقرفة البحر.

ومن هذا النوع الشرطان، وهو خراج فى الحافر وينفع منه ما تقدم، وقد يكوى وعظم السبق يكوى أيضاً برفق.

ومنها النفاخات فتستنزل ثم تكوى شباكاً ويلصق على الكل السدر والصابون والخل وكذا القمع.

وأما ما يسمى هنا مفصل اليسار فتزلات. فى الوركين على حد عرق النسا فى الإنسان وعلاجها الكى دائرة ووضع المسخنات ضماداً كالزنجبيل وتطولا كالحلبة ودهناً كالنفط. وكذا الثوم إذا غلى بالخل ومثله وجع الركبة.

ومنها الحنظل وهو انحلال العصب بحيث يفارق المفصل مركزه وسببه شرب على تعب تقدم أو تأخر أو حمل ثقيل. وعلاجه الكى دائرة بمحله والضماد بالقوابض كالعفص. ومنها ريح الحمال وهو ورم فى أصل الفخذ إلى آخر الرجل. وقد لا يغم وسببه بخار أو ريح ينضغط بين الأغشية وعلاجه الضماد بالجاورسن حاراً وكذا النخلة والعذرة.

وأما القروح والدبرات التى تحصل من ميل السرج أو الراكب أو من

المطرحة ونحوها فعلاجها بالتنقية والذرورات القابضة كالعفص وقشور الرمان والشب والحناء وهو أنفعها لذلك وترك الركوب رأساً أو قطع المطرحة بمقدار القرح ويجعل فيها وقاية له ونحو ذلك. ومنها التحريك وعلاجه الطفل باخل ومنها الخلد الطيار، قالوا ومن المجرب فيه رماد اليسر والآبنوس. ومنها اللزر وهو انضغاط تشنّج منه الأضلاع ويعسر معه النفس. وعلاجه كيّ الخواصر والبطن كهيئة رجل الغراب والرأس واللبة كيف اتفق.

وأما ما يعرض لعينها منها البياض ، وذكر الشيخ داود له اكحالاً.

منها ملح اندرانى نطرون لؤلؤ سواء سكر نبات زنجبار حجر مسن محرق فلفلان دار فلفل. ومنها هذه الأجزاء ويضاف إليه المرجان والنوشادر والزعفران والكافور والتوتيا ونوعى الأقليميا.

قال وينفع الأكتحال به من المغلة والظفرة. أقول وشاهدتا أنه يتقدم من الظفرة اكحالها بحجر التوتيا وبأصل بخور مريم يحك كل منها فى العين مجرب. وللطرفة فى العين سمن ودهن ورد صفار بيض زعفران سيلقون. وكذا الأشق بلبن الحمير.

"خاتمة" قالوا إذا أطعتم الخيل شحم الحنظل بالعجين فى كل مدة مرة يحفظ صحتها. والملح فى عليقها يزيل ضرسها ويقوى معدتها وكذلك الكفرة والله الهادى.

المطرحة ونحوها فعلاجها بالتنقية والذرورات القابضة كالعفص وقشور الرمان والشب والحناء وهو أنفعها لذلك وترك الركوب رأساً أو قطع المطرحة بمقدار القرح ويجعل فيها وقاية له ونحو ذلك. ومنها التحريك وعلاجه الطفل داخل ومنها الخلد الطيار، قالوا ومن المجرب فيه رماد اليسر والأبنوس. ومنها اللزز وهو انضغاط تشنّج منه الأضلاع ويعسر منه النفس. وعلاجه كيّ الخواصر والبطن كهيئة رجل الغراب والرأس واللبة كيف اتفق.

وأما ما يعرض لعينها منها البياض ، وذكر الشيخ داود له اكحالاً.

منها ملح اندرانى نطرون لؤلؤ سواء سكر نبات زنجبار حجر مسن محرق فلفلان دار فلفل. ومنها هذه الأجزاء ويضاف إليه المرجان والنوشادر والزعفران والكافور والتوتيا ونوعى الأقليميا.

قال وينفع الأكتحال به من المغلة والظفرة. أقول وشاهدتا أنه يتقدم من الظفرة اكحالها بحجر التوتيا وبأصل بخور مريم يحك كل منها فى العين مجرب. وللطرفة فى العين سمن ودهن ورد صفار بيض زعفران سيلقون. وكذا الأشق بلبن الحمير.

"خاتمة" قالوا إذا أطعتم الخيل شحم الحنظل بالعجين فى كل مدة مرة يحفظ صحتها. والملح فى عليقها يزيل ضرسها ويقوى معدتها وكذلك الكفرة والله الهادى.

ثمن فرسه. فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى فطفق رجال يعترضون الأعرابـــى فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابى فى السوم على ثمن الفرس الذى ابتاعه به النبى ﷺ فنادى الأعرابى النبى ﷺ فقال إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبى ﷺ بلى قد ابتعته منك فطفق الناس يلوذون بالنبى ﷺ وبالأعرابى يتراجعان، وطفق الأعرابى يقول هلم شهيداً يشهد أنى قد بايعتك فمن جاء من المسلمين قال الأعرابى ويلك أن النبى ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً. حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع لمراجعة النبى ﷺ ومراجعة الأعرابى ، فطفق الأعرابى يقول هلم شهيداً يشهد أنى قد بايعتك. فقال خزيمة بن ثابت أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال بم تشهد. فقال بتصديقك يارسول الله فجعل النبى ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين.

وفى رواية قال رسول الله ﷺ وهل حضرتنا يا خزيمة. فقال لا فقال فكيف شهدت بذلك. فقال بأبـــى أنت يارسول الله أصدقك على أخبار السماء وما يكون فى غد ولا أصدقك فى ابتياعك هذا الفرس. قال رسول الله ﷺ إنك لذو الشهادتين يا خزيمة.

وروى ابن سعد عن الواقدى. قال سألت محمد بن يحيى عن المرتجز فقال هو الفرس الذى اشتراه رسول الله ﷺ من الأعرابى وشهد له فيه خزيمة ابن ثابت. وكان الأعرابى من بنى مرة.

قال الحافظ وذكر غيره أن اسمه سواء بن الحارث المحاربـــى وأن له صحبة.

وروى الواقدى عن ابن عباس. قال : كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى المرتجز . قال ابن الأثير وكان أبيض. وقال ابن قتيبة فى المعارف المرتجز فرس رسول الله ﷺ الذى اشتراه من الأعرابـــى وشهد له به خزيمة بن ثابت . وقيام شهادة خزيمة رضى الله عنه مقام شهادة رجلين خصوصية له انفرد بـــها عن بقية الصحابة مع الفضيلة الباهرة لغيره من قدماء المهاجرين وهذه الخصيصة رشحة من رشحات قوله تعالى ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[1] فأن خزيمة نصر رسول الله ﷺ بشهادته مع أنه لم يكن حاضراً فدل على تمام إيمانه وتصديقه وثباته فى اليمان وهو قدم من الصديقية فنصره الله برفع قدره وجعله بمنزلة رجلين فى الشهادة إذ الجزاء من جنس العمل والله الموفق .

وفى رواية اسم ذلك الفرس الطرف. وفى أخرى الجيب والبحر . ذكر ابن بنين رحمه الله تعالى البحر فى خيل النبى ﷺ . وقال هو فرس أشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فمسح النبى ﷺ وجهه وقال ما أنت إلا بحر فسمّى بحراً.

قال ابن الأثير وكان كميتاً. وقدمنا فى السباق أن فرسه ﷺ الذى جاء سابقاً كان أذهماً حتى أن الناس استشرفوا للسابق فقالوا الأدهم الأدهم.

وروى الحافظ الدمياطى قرأت على الأشياخ الثلاثة محمد بن سعد وعبد الحميد بن عبد الهادى، وأحمد بن عبد الدايم بسفح قاسيون . أخبركم يوسف بن معالى بن نصر الكنانى. قال أنبأنا على بن أحمد بن منصور بن قيس

---

(١) سورة محمد الآية ٧.

الغسانى. قال أنبأنا الحسن بن محمد بن على الأنطاكى.

قال أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازى. قال أنبأنا أبو الطيب محمد بن حميد بن محمد بن سليمان الحورانى الدمشقى قال حدثنا الحسن ابن جرير قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا بشر بن عون أبو عون القرشى الدمشقى قال حدثنا بكار بن تميم عن مكحول عن وائلة الأسقع قال أجرى رسول الله ﷺ فرسه الأدهم فى خيول المسلمين فى المحصب من مكة فجاء فرسه سابقاً فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه حتى إذا مرّ به قال إنه لبحر، فقال عمر بن الخطاب كذب الحطيئة فى قوله.

وان جياد الخيل لا تستفزنى ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

فلو كان صابراً أحد عن الخيل لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بذلك.

قال الثعالبى إذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر شبه بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه.

وأول من تكلم بذلك النبى ﷺ فى وصف فرس ركبه لأبى طلحة الأنصارى. روى الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ أجمل الناس وجهاً، وأجود الناس كفاً وأشجع الناس قلباً إن أهل المدينة فزعوا مرة فاستعار فرساً لأبى طلحه فركبه عرباً. وفى رواية وكان يقطف وفى بعضها وكان اسمه مندوب وخرج وفى عنقه سيف وفى بعضها ففزع الناس فوجدوه راجعاً يقول لم تراعوا لم تراعوا. ثم قال أنى وجدته بحراً فكان بعد ذلك لايجارى وفيه معجزة له ﷺ ظاهرة.

ومثلها مارواه النسائى والطبرانى[1] من حديث كحيل الأشجعى رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع النبى ﷺ فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبى ﷺ فقال سر ياصاحب الفرس، فقلت يارسول الله انها فرس عجفاء ضعيفة فرفع النبى ﷺ مخفقة كانت بيده فضربها بها وقال الله بارك له فيها فلقد رأيتنى وما أملك رأسها حتى صارت قدام القوم. ولقد بعت من بطنها بأثنى عشر الفاً انتهى.

ولعل الكحيلات كلها منسوبة إليها فيكون أصلها كحيليات منسوبة إلى كحيل وخففت والله أعلم.

وسبحة ذكرها ابن بنين فى خيله ﷺ وقال هى فرس شقراء ابتاعها من أعرابى من جهينة بعشر من الأبل وسابق عليها يوم خميس ومد الحبل بيده ثم خلا عنها وسبح عليها فأقبلت الشقراء حتى أخذت صاحبها العلم وهى تغير فى وجوه الخيل فسميت سبحة.

وعن أنس بن مالك قال راهن رسول الله ﷺ على فرس يقال له سبحة فجاءت سابقة فهش لذلك وأعجبه. رواه أبو عبيدة عن أبى لبيد.

ولفظه قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله ﷺ يراهن على الخيل.

قال أى والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة فسبقت، فبهش لذلك

---

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، ومات سنة ٣٦٠هـ صاحب المعجم الكبير والأوسط والصغير.

انظر المزيد فى: ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٥، طبقات الحنابلة ٢/٤٩.

وأعجبه قوله فبهش وفى الرواية الأولى هش وهما بمعنى ارتاح له وخف اليه وسميت سبحة من قولهم فرس سابح وتقدم تفسيره.

وقال ابن حبيب وكانت لجعفر بن أبـــى طالب فرس شقراء يقال لها سبحة استشهد عليها يوم مؤتة ومرانه عقرها يومئذ.

قال الحافظ وكان لعلى رضى الله عنه فرس فى أيام النبى ﷺ يسابق عليه يسمى سبحة كانت سابقة قاله أبو الخطاب. وسبحة فرس زيد بن حارثة الذى غزا عليه ابنه أسامة أرض الروم بعد النبى ﷺ وهى أول غزوة بعده وآخر بعث بعثه ﷺ . وسبحة أحد أفراس المقداد الذى كان معه يوم بدر وهى أول غزوات النبى ﷺ بنفسه الشريفة وبـــها كان عز الإسلام ولا يبعد أن يكون أحد هذه الأفراس هى فرسه ﷺ أعطاها لأحد هؤلاء كذا قال الحافظ وهو قريب.

(وذا اللمة) ذكره أبو حبيب أيضاً. واصل اللمة الشعر الذى يلم بالمنكبين فأن شعر الرأس من الإنسان إذا وصل إلى شحمة الأذن فهو وفرة فأذا زادت حتى ألمت بالمنكبيه فهى لمة. وإذا زادت فهى جمة. وفارس اللمة عكاشة ابن محصن الأسدى[1] الذى دعا له النبى ﷺ أن يكون ممن يدخل الجنة بغير حساب. فقتل طليحة بن خويلد الأسدى أيام الردة وأعطاه النبى ﷺ يوم أحد غوداً لما وجده بغير سلاح فعاد فى يده الردة وأعطاه النبى ﷺ يوم أحد عوداً لما وجده بغير سلاح فعاد فى يده سيفاً وبقى عنده يقاتل به حتى استشهد.

وهذا كالذى قبله يجوز أن يكون هو فرس النبى ﷺ أعطاه إياه.

---

(١) ورد ذكره وترجمته فى : تهذيب التهذيب.

(وذو العُقّال) بضم العين وتشديد القاف. وهو ظلع يأخذ بقوايم الدابة وجوزوا فيه تخفيف القاف. وذو العقالِ كان فرساً فى بنى يربوع أبوه داحس المشهور.

(واللزاز واللحيف والظرب) روى ابن مندة من حديث عبد المهيمن ابن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس يعلفهن عند سعد بن سعد بن مالك أبى سهل أخى الساعدى وسمعت النبى ﷺ يسميهن اللزاز واللحيف والظرب. فأما اللزاز فأهداه له المقوقس. وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبى البراء وهو ملاعب الأسنة عامر بن مالك فأثابه عليه فرايض من نعم بنى كلاب أسلم ربيعة وله صحبة. (وأما الظرب) فأهداه له فروة بن عمرو الجذامى. قال ابن سعد كان مع النبى ﷺ يوم المريسيع فرسان لزاز والظرب . واللزاز من قولهم لازززته أى لاصقته كأنه يلتصق بما يطلب عليه لسرعته وقيل من الملزز المجتمع الخلق الشديد الأسر سمى به لاجتماع خلقه وشدته. وكان رسول الله ﷺ به معجباً وكان تحته يوم بدر وفى كثير من غزواته. ولعل قولهم كان تحته يوم بدر وهم وانما هو يوم خيبر. فأن بدراً كانت فى السنة الثانية وارساله صلوات الله وسلامه عليه للمقوقس واهداؤه للنبى ﷺ كان سنة ست والله أعلم.

(وأما اللحيف) بالمهملة وفتح اللام فعيل سمى به لطول شعر ذنبه كأنه يلحف به الأرض أى يغطيها. وقيل بضم اللام وفتح الحاء مصغراً. وقيل النحيف بالنون بدل اللام.

قال الحافظ ليس بشئ. وقال بعضهم اللخيف بالخاء المعجمة على فعيل.

والظرب واحد الظراب وهى الروابـــى الصغار سمى به لكبره وسمنه. وقيل لقوته. كان مهديه فروة الجذامى عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام بعث إلى رسول الله ﷺ بأسلامه وأهدى له معه بغلة بيضاء. فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فأخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه رضى الله عنه.

وأما المقوقس مهدى اللزاز فستأتى أخباره إن شاء الله تعالى.

(والورد) قال ابن سعد: وأهدى تميم الدارى لرسول الله ﷺ فرساً يقال له الورد فأعطاه عمر فحمل عليه عمر فى سبيل الله فوجده يباع برخص فأراد أن يشتريه فاستأذن النبى ﷺ فلم يأذن له كذا فى الصحيح. قال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه.

ليس عندى إلا السلاح وورد قارح من بنات ذى العقال

والورد فرس زيد الخيل وهو زيد بن مهلهل بن زيد الطائى. ولما سلم سماه النبى ﷺ زيد الخير واثنى عليه بقوله ما وصف لى أحد فرأيته إلا رأيته دون تلك الصفة إلا أنت فإنك فوق ما قيل لى فيك، فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم. فقال الحمد لله الذى جبنى على مايحب الله ورسوله. وسمى فى الجاهلية زيد الخيل لكثرة خيله فأن العرب إذ ذاك أكثرهم كان يملك الفرس والفرسين فقيل لعزة الخيل عندهم:

وأما زيد فكانت له أفراس كثيرة منها الورد. ذكر ابن سعد فى وفادات أهل اليمن قدم وفد الداريين على رسوله ﷺ منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر، فيهم تميم ونعيم أخوه ويزيد بن قيس والفاكه بن النعمان، وجبلة بن مالك وأبو هند والطيب وسماه النبى ﷺ عبد الله وهانى بن حبيب وعزيزة ومرة ابنا مالك. فأسلموا وأهدى هانى بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية خمر وأفراساً وقباء مخوّصاً بالذهب فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب. فقال ما أصنع به قال تنزع الذهب فتحليه نساءك أو تستنفقه ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه. فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

وقال تميم لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لأحدهما جيرك والأخرى بيت عينون. فأن فتح الله عليك الشام فهبها لى قال فهما لك.

قال فلما قدم أبو بكر أعطاه ذلك. قال وأقام وفد الداريين حتى توفى رسول الله ﷺ وأوصى لهم بجاد ماية وسق فأن كان هو الفرس الورد فنسبة هديته لتميم رضى الله عنه لكونه من الداريين وتميم أشهرهم وإن كان فرس آخر فهذا الفرس غير مسمى والله أعلم.

[والسجل] ذكر ابن عبدوس الكوفى أسماء خيله ﷺ السجل. قال الحافظ لعله مأخوذ من سجلت الماء فانسجل أى صببته فانصب.

والشحايا بالشين المعجمة والحاء المهملة من قولهم فرس بعيد الشحوة أى بعيد الخطوة وجاءت الخيل شواحى فاتحات أفواهها.

قال الحافظ وأخف أن يكون السجل مصحفاً من الشحا أو العكس

والله أعلم .

[والسرحان والمرتجل والأدهم وملاوح واليعسوب] حكى عن ابن بنين عن ابن خالويه. قال للنبى ﷺ من الخيل سبحة واللحيف؛ ولزاز والظرب، والسكب، وذو اللمة والسرحان، والمرتجل، والأدهم، والمرتجز، وملاوح، والورد، واليعسوب.

وذكر قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل اليعسوب واليعبوب فرسين لرسول الله ﷺ فيكون عدة ذلك أربعة عشر المسماة.

وذكر ابن الكلبى فى جمهرته عن أعصر بن سعد أنه وفد على رسول الله ﷺ وأهدى له فرساً.

وذكر الطبرانى فى معجمه الصغير أن بياض بن حماد المجاشعى[1] أهدى لرسول الله ﷺ فرساً قبل أن يسلم فقال انى أكره زبد المشركين.

وقال ابن الكلبى أهدى له نجيبة وكان صديقاً له إذا قدم عليه مكة لا يطوف إلا فى ثيابه فقال أسلمت قال لا. قال إن الله نهانى عن زبد المشركين فأسلم فقبلها منه. والزبد العطية تقول منه زبدت فلاناً وأزبدته أرفدته وأصلها الزبد الذى هو طرى السمن. فكان المعطى يلقم المعطى زبداً فهو من مجاز الكلام.

وذكر أبو داود حديث ذى الجوشن الضبابى واسمه شرحبيل.

قالت أتيت النبى ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بأبن فرس يقال لها

---

(١) ورد ذكره فى تهذيب التهذيب.

القرحاء فقلت يا محمد أنى قد جئتك بابن القرحاء لتتخذه. قال: لا حاجة لى فيه. وإن شئت اقيضك به المختارة من دروع بدر قلت ما كن اقيضه اليوم بقرة. قال فلا حاجة له فيه. يقال قاضه يقيضه إذا عوضه. والقرحاء تأنيث الأقرح. وتقدم وليس فى هذا الحديث أنه قبله فلا بعد فى خيله صلوات الله عليه وسلامه.

واليعسوب واليعبوب اللذين ذكرهما ابن ثابت الأول منقول من اسم طائر أعظم من الجراد لا يضم جناحه إذا هداً تشبه به الخيل فى الضمر.

قال أبو جنية:

شعث بطيف بشخصه لوايح أمثال اليعاسيب ضمراً.

قال الجوهرى والباء فيه زائدة لأنه ليس فى كلامهم فعلول غير صعقوق وهو اسم فرس الزبير أيضاً. وقيل أنه أحد الأفراس التى كانت مع المسلمين يوم بدر كما يأتى، واليعسوب اسم ملك النحل التى تتبعه. وفى كامل ابن عدى أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه أنت يعسوب المؤمنين.

ويروى أن الإمام علياً رضى الله عنه وقف على باب البيت الذى مات فيه أبو بكر وهو مسجى. وقال والله كنت يعسوباً للمؤمنين، وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف انتهى.

واليعبوب الفرس الجواد. وجدول يعبوب شديد الجرى، وهو اسم أحد أفراس النعمان بن المنذر. والأجلح الصنابى أيضاً.

والمرتجل من الارتجال تقول ارتجل الفرس ارتجالاً إذا خلط العنق بشئ

من الهملجة وسبق تفسيرهما. والسرحان منقول من اسم الذئب.

قال سيبويه: الألف والنون زايدتان فهو فعلان. قال الكسائى والأنثى سرحانة.

[والمرّواح] ذكر ابن سعد عن زيد بن طلحة التيمى. قال: قدم خمسة عشر رجلاً من الرهاويين وهم حى من مذحج على رسول الله ﷺ فنزلوا دار رملة بنت الحارث. فأتاهم رسول الله ﷺ فتحدث عندهم طويلاً وأهدوا لرسول الله ﷺ هدايا منها الفرس يقال له مرواح فأمر به فشور بين يديه وأعجبه فأسلموا وتعلموا القرآن والفرايض وأجازهم كما يجيز الوفد أرفعهم ثنتى عشرة أوقية ونشا ولبعضهم خمس أواق ثم رجعوا إلى بلادهم.

والمراوح بكسر الميم من أبنية المبالغة كالملقام والمقدام مفعال من الريح لسرعته أو من الروح لسعته فى الجرى. أو من الراحة لأنه يستراح به. أو من قوله راح الفرس يراح راحة إذا تحصن أى صار فحلاً.

وقوله فشور بين يديه، تضعيف قولك له شرت الدابة شوراً عرضتها على البيع أقبلت بـــها وأدبرت. والمكان الذى تعرض فيه الدواب مشوار. وفى المثل إياك والخطب فأنها مشوار كثير العثار.

هذا ما حضرنى الآن من أخبار خيله صلوات الله عليه وسلامه مع تشتت البال بالأسفار والأغتراب عن الأولاد والديار؛ وتوزيع الفكر بين حوادث الليل والنهار.

ولنذكر لذلك تكملة فيما انتهى إلينا من أخبار بقية دوابه وما ورد فى

ذلك من الآثار فنقول.

وجاء أنه ﷺ ركب البراق ليلة المعراج وجاء فى الأحاديث أنه دابة بيضاء بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده فى منتهى طرفه. وفى لفظ شبيهة بالبغل. وفى آخر أنها طويلة الأذنين مضطربتهما، وأنها إذا صعدت شرفاً طالت رجلاها. وإذا هبطت طالت يداها. وفى بعضها خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقائمه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر، صدره ياقوتة حمراء، ظهره كأنه درة بيضاء عليه رحل من رحائل الجنة.

رواه الثعالبى فى تفسيره بسند جيد وله متابعات، وفيه وهى دابة إبراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام، فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب علىّ ، فقال جبريل مه يابراق.

وفى رواية وكانت الأنبياء تركبها قبلى وكانت بعيدة العهد بالركوب أى لفترة الأنبياء. فقال جبريل أما تستحين. وفى رواية بمحمد تفعل هذا ما ركبك مذ كنت نبى قط أكرم على الله من محمد.

وفى رواية والله ما ركبك أحد الخ ..

وفى الرواية الأولى ، فقال البراق يا جبريل مس صفراً فقال جبريل مسست صفراً يا محمد قلت لا والله إلا أنى مررت يوماً على إساف ونايلة فمسحت يدى على رؤسهما وقلت أن قوماً يعبدونكما من دون الله ضلال فأعاد العتاب عليه جبريل.

وفى رواية فزاره بأذن فارتعشت البراق . وفى رواية فأرفضت عرقاً حياءً منى ثم انخفض حتى لصق بالأرض فركبته حتى أتيت بيت المقدس وأحاديث المعراج مستفيضة يضيق عن استيعابـــها الوقت والغرب ثبوت ركوب النبى ﷺ البراق وقد قدمنا فى حكمة ذلك ما سنح مما به الله فتح.

ونقل الدميرى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه ما زايل أى رسول الله ﷺ ظهر البراق حتى رجع وذكر أنه يركبه النبى ﷺ يوم القيامة دون سائر الأنبياء واستدل له بما فى شفاء الصدور. عن سويد بن عمران أن النبى ﷺ ذكر من أحوال القيامة، فقال له رجل يارسول الله وأنت على العصباء يومئذ. قال تلك تحشر عليها فاطمة ابنتى وأنا أحشر على البراق وأخص به دون الأنبياء.

وفى مجموع هذه الروايات ثبوت البراق وركبه ﷺ له وأنه من دواب الجنة وأن الأنبياء ركبته فركوبه معجزة لم تثبت لغيرهم.

وهذا لاينافى ما مرّ أول الكتاب. وفى رواية ابن عباس أن آدم خير بين البراق والفرس فأختار الفرس، فقيل له اخترت عز ولدك لما هو بين أن اختيار آدم لما تنتفع به ذريته على العموم ولا بد عن أن يكون فى علم الله أن البراق تابع للفرس فلو اختار البارق ورد الفرس حرمهما.

ولما اختار الفرس أعطيهما فأعطى الفرس لجميع بنيه وأعطى البراق لخواصهم فقط، وقولنا أعطى الفرس لجميع بنيه لا ينافى ما تقدم من أن أول من اقتناها اسماعيل عليه السلام إذ كثير مما أعطيه آدم بعده بأزمان.

ونظير ذلك ما روى أن جبريل عليه السلام [أمرنا] أن نكون مع العقل

حيث كان ففاز بالجميع. وهذا من توفيق الله سبحانه لأنبيائه.

كما ورد عن نبينا صلوات الله عليه وسلامه أنه أتى ليلة المعراج بثلاثة أقداح قدح من لبن، وقدح من عسل وقدح من خمر فشرب اللبن فقيل له أصبت الفطرة، لو شربت الخمر كفرت أمتك، ولو شربت العسل لغوت أمتك فحمد الله سبحانه والله سبحانه الهادى.

[وأما بغاله] صار إليه ﷺ عدة من البغال. قال الحافظ الدمياطى ناقلاً عن ابن سعد أن النبى ﷺ لما رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب إلى الأطراف كما فى الصحيح؛ فقالوا له أنهم لايقرؤن كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة فصه منه. وفى رواية من عقيق نقشه محمد رسول الله ثلاثة أسطر وختتم به الكتب. أى ووجه الرسل فخرج منهم ستة فى يوم واحد وذلك فى المحرم سنة سبع فبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى وكان أولهم، وبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل. وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى. وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى بنى عبد العزى إلى المقوقس. وشجاع ابن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبـــى شمر الغسانى ملك دمشق وسليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة.

فأما عمرو بن أمية الضمرى فذهب بكتاب رسول الله ﷺ . وصورته

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة.

أما بعد فأنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم

البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وأنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فأنى رسول الله وأنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى.

وروى أنه كتب إليه بكتاب آخر يذكر له فيه أنه يزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان لأنها كانت من مهاجرة الحبشة قبل ذلك.

كذا فى المواهب وعندى فيه نظر فأن الذى زوج أم حبيبة برسول الله ﷺ هو النجاشى الذى هاجر إليه الصحابة أولاً وهو غير الذى كتب إليه النبى ﷺ هذا الكتاب بل هو بعد موت ذاك وهو الذى صلى عليه النبى ﷺ فى المدينة وقام بعده هذا الذى كاتبه النبى ﷺ لكن تاريخ زواج أم حبيبة كان سنة سبع على الأكثر وهو تاريخ هذه الرسالة فيؤكد ما فى المواهب والله أعلم.

قال عمرو فأخذ النجاشى الكتاب ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق. وقال لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، قال وزوجه بأم حبيبة بنت أبى سفيان وأمهرها بأربعمائة دينار من ماله عن النبى ﷺ ثم دعا بحق من عاج فجعل فيه كتابى رسول الله ﷺ وقال لن تزال الحبشة بخير مادام هذا الكتابان بين أظهرهم ثم كتب جواب الكتاب إلى النبى ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم؛ إلى محمد رسول الله من النجاشى اصحمة.

سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد فقد بلغنى كتابك يارسول الله فما ذكرت من أمر عيسى فوزب السماء والأرض أن عيسى لايزيد على ما ذكرت تفروقاً أنه كا ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

والتفروق ما بين النواة والقشر. وروى انه أهدى له بغلة أيضاً.

وأما دحية الكلبى فأنطلق بكتاب رسول الله ﷺ إلى بصرى إلى العامل عليها من قبل هرقل وهو الحارث بن أبـــى شمر الغسانى وكان على دمشق وغوطتها وما والاها. وكان من العرب فأرسله الحارث إلى هرقل، وكان إذ ذاك ببيت المقدس.

فلما وقف على كتاب رسول الله ﷺ أمر بأنزال دحية وإكرامه إلى أن كان من أمره ما رواه البخارى فى أول صحيحه من رواية ابن عباس رضى الله عنهما عن أبي سفيان ألخ.

وأما عبيد الله بن حذافة فكتب له رسول الله ﷺ إلى كسرى.

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى كسرى عظيم الفرس.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فأنى رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فأن أبيت وتوليت فأن عليك أثم المجوس.

وأمره بدفعه إلى عظيم البحرين ودفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما

قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله أن يمزقوا كل ممزق، وفى رواية مزق الله ملكه فكان كذلك وصاروا عبرة للناس كما هو مشروح فى كتب السير.

وأما شجاع بن وهب الأسدى فذهب كتاب رسول الله ﷺ إلى الحارث الغسانى ونسخة الكتاب. بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى الحارث بن أبـــى شمر. سلام على من اتبع الهدى فآمن بالله وصدق وأنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك ولم يحضرنى الآن جوابه.

وأما سليط فذهب بكتاب رسول الله ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن على ونسخة الكتاب. بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة ابن على سلام على من اتبع الهدى. واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يدك فلما قدم عليه أنزله وحباه وقرأ كتاب رسول الله ﷺ فرد رداً دون رد وكتب إلى النبى ﷺ ما أحسن إليه وأجمله والعرب تهاب مكانى فأجعل لى بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبى ﷺ فأخبره وقف على كتابه.

وقال لو سألنى سبابة من الأرض ما فعلت باد وباذ ما فى يده، فلما انصرف ﷺ من الفتح أخبره جبريل بأن هوذة مات .

وأما حاطب فذهب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه وقال له خيراً وأخذ الكتاب وجعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته وكتب إلى النبى ﷺ كتاباً فيه قد علمت أن

نبياً من الأنبياء قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القط عظيم. وقد اهديت لك كسوة وبغلة تركبها ولم يزد على هذا ولم يسلم.

فقبل رسول الله ﷺ هديته وأخذ الجاريتين مارية أم ابراهيم ابن النبى ﷺ وأختها سيرين وبغلة بيضاء لم يكن فى العرب يومئذ غيرها وهى دلدل والدلدل عظيم القنافد. والدلدل الاضطراب وقد تدلدل أى تحرك متدلياً وقال النبى ﷺ « ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه » .

وقال حاطب كان لى مكرماً فى الضيافة وقلةالمكث ببابه ما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وذكر فى رواية أخرى أنه أهدى مع هذه الأشياء ألف مثقال من الذهب وعشرين ثوباً وحماره يعفور وخصى شيخ كبير كان أخاص، وفى رواية ابن عم مارية وإن حاطب عرض على مارية وأختها الإسلام. ورغبهما فيه فأسلمتا وأقام الخصى على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد فى عهد رسول الله ﷺ.

وذكر أيضاً قالت كانت دلدل بغلة رسول الله ﷺ أول بغلت رؤيت فى الأسلام أهداها له المقوقس وأهدى له معها حماراً يقال له عفير وأنها بقيت إلى زمن معاوية، ويقال أنها كانت بعد رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه وأنه ركبها، ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين، ثم ركبها محمد بن الحنفية ثم كبرت وعميت فوقعت فى مبطخة لبعض بنى مذلج فخبطت فيها فرماها بسهم فقتلها.

وذكر الحافظ عبد الغنى المقدسى أن بغلته دلدل كان يركبها فى

الأسفار عاشت بعده حتى كبرت وزالت أسنانها وكان يجش لها الشعير وماتت بينبع، وحماره يعفور مات بحجة الوداع.

وروى مسلم من حديث أبي حميد الساعدى. قال غزونا مع رسول الله ﷺ تبوك فذكر الحديث، وقال فيه وجاء رسول ابن العلماء صاحب ابلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له برداً.

ورواه البخارى وفيه وكتب له يـــخبرهم. قال ابن سعد: وبعث صاحب دومة الجندل لرسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يتعجبون من حسن الجبة فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن يعنى من هذا.

وعن ابن سعد أنه روى عن زامل بن عمر. قال أهدى فروة بن عمرو إلى النبى ﷺ بغلة يقال لها الفضة فوهبها لأبى بكر رضى الله عنه.

ومثله عن البلاذرى وقدمنا ذكره وأنه أسلم. وروى إنما كانت تسمى الشهباء ويقال أنها هى الدلدل كما سبق وأن التى أهداها المقوقس كان اسمها الفضة. وكان لرسول الله ﷺ حماران يعفور وعفير احدهما أهداه المقوقس والآخر فروة بن عمرو الجذامى وأحدهما مات منصرفة من حجة الوداع والآخر قال السهيلى كغيره يبقى إلى يوم وفاة النبى ﷺ فطرح نفسه فى بئر فتردى. وذكر ابن فورك فى كتاب الفصول أنه كان من مغانم خيبر وأنه كلم النبى ﷺ وقال يارسول الله إنا زياد بن شهاب وقد كان فى آبائى ستون حماراً كلهم ركبهم نبى

فاركبنى أنت. قال وزاد الجوينى فى الشامل أن النبى ﷺ كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا الحمار فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم أنه أرسل إليه فيأتى النبى ﷺ. وكانت له بغلة يقال لها الأيلية أهداها إليه ملك إيلة وكانت طويلة محذوفة كأنما تقوم على رمال حسنة السير فأعجبته ووقعت منه وهى التى قال له على رضى الله عنه كأن هذه البغلة قد اعجبتك يارسول الله قال نعم قال لو شئنا لكان لك مثلها. قال وكيف قال هذه أمها فرس عربية وأبوها حمار ولو أنزينا حماراً على فرس لجاءت بمثل هذه، فقال انما يفعل ذلك الذين لايعلمون، وفى رواية لايعقلون. وعن ابن عباس رضى عنهما كان عبداً مأموراً ما اختصنا دون الناس بشئ إلا بثلاث أمرنا أن نسبغ الوضوء وأن لا نأكل الصدقة وأن لا نترى حماراً على فرس.

وعن عبد الله بن حسن أنه قال كانت الخيل فى بنى هاشم قليلة فأحب النبى ﷺ أن تكثر فيهم فنهى عن انزاء الحمر عليها لذلك. وبه أخذ جمهور الفقهاء من جواز انزاء الحمير على الخيل. وقال بعضهم بالكراهة وبعضهم بالتحريم للأحاديث السابقة. وكان له ناقة اسمها القُصوى. أخرج الحافظ بسنده الصحيح أن علياً كرم الله وجهه. قال كان اسم فرس النبى ﷺ المرتجز وبغلته دلدل وناقته القصوى وحماره عفير ودرعه الفضول وسيفه ذو الفقار.

وذكر عن ابن سعد قال كانت القصوى من نعم بنى الحويش ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمان مائة درهم فأخذها رسول الله ﷺ بأربعمائة فكانت عنده حتى نفقت وهى التى هاجر عليها وكانت حين قدوم رسول الله ﷺ المدينة رباعية وكان اسمها القصوى والجدعاء والعضباء وفى رواية كان فى طرف أذنها

جدع وكانت لا تسبق وكانت صهباء وقيل شهباء. وروى أيضاً عن سلمة بن نبيط عن أبيه قال رأيت رسول الله ﷺ فى حجته بعرفة على جمل أحمر. وقد يطلق الأحمر ويراد به الأبيض كما يقال الأسود والأحمر أى العرب والعجم، والحمراء والأحامرة العجم لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم وهو البياض. والصهبة الشقرة فالصهباء الشقراء والقصواء المقطوعة من طرف أذنها. والعضباء المشقوقة الأذن، والجدعاء المقطوعة الأنف أو الأذن أو أليد والشفة ولم تكن عضباء وانما كان ذلك اسماً لها.

قال الجوهرى تسمى القصوى ولم تكن مقطوعة الأذن انتهى.

والظاهر أن جميع ذلك أسماء لها ولم يكن فيها شئ من ذلك لكنه قد سبق أنه كان بطرف أذنها جدع، وهى رواية ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى ابن أبى ذئب عن يحيى بن يعلى عن ابن المسيب مرسلاً. وكان لرسول الله ﷺ جمل يقال له الثعلب اركبه عثمان يوم الحديبية ليبلغ عنه أشراف مكة ما جاء له فعقروه وأرادوا قتلَ عثمان فمنعته الأحاديث وكان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة بالغابة وهى على بريد من المدينة على طريق الشام فأغار عليها عيينة بن حصن فى أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر راعيها ثم ركب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إلى ذى قرد والقرد الصوف الردى فاستنقذوا منها عشراً وأفلت القوم بما بقى. كذا نقل الحافظ والصحيح به استنقذها كلها منهم سلمة بن الأكوع قبل أن تدرك خيل رسول الله ﷺ كما هو فى صحيح مسلم بطوله وذلك فى ربيع الأول سنة ست.

وكان له ﷺ خمسة عشر لقحة غرازاً وكانت بذى الجدر ناحية قبا قريباً من عير على ستة أميال من المدينة وهى التى استاقها العرنيون وقتلوا يساراً ولى رسول الله ﷺ غدراً فبعث كرز بن جابر الفهرى فى عشرين فارساً فأدركوهم وربطوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة فقطعت أيديهم وأرجلهم وسلمت أعينهم وصلبوا وفيهم نزلت ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (١) الآية .وذلك فى شوال سنة ست ولم يفقد منها إلا لقحة واحدة تسمى الحناء قيل نحروها. وكان منها لقحة تدعى مهرة كانت غزيرة أرسل بـــها سعد بن عبادة من نعم بنى عقيل وأخرى بردة تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان أهداها له الضحاك بن سفيان الكلابى. ومنهن الشقراء والرياء والسمراء والعريس واليسيرة والحناء وهى التى فقدت. وغنم رسول الله ﷺ يوم بدر جمل أبى جهل وكان مهرباً يغزو عليه ويضرب فى لقاحه ذكره الطبرى. وعن ابن عباس أن النبى ﷺ أهداه عام الحديبية وكان فى رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين. ذكره ابن اسحاق. والبرة حلقة تجعل فى أنف البعير. وقوله أهداه أى نحره تقرباً لله تعالى لأجل النسك. وكانت لرسول الله ﷺ من الغنم ماية شاة لايريد أن تزيد كلما ولد الراعى بهمة ذبح مكانها شاة.

قال ابن الأثير: كانت له شاة تسمى غوثة أو غيثة وعنز تسمى اليمن.

وذكروا أن مكحولاً سئل عن جلد الميتة. فقال كانت لرسول الله ﷺ شاة تسمى قمر ففقدها يوماً فقال ما فعلت قمر فقالوا ماتت يارسول الله.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

قال ما فعلتم بأهابـــها قالوا ميتة قال دباغها طهورها قال وكانت منايح رسول الله ﷺ من الغنم سبعاً عجرة ورمزة وسقيا وبركة وورشة واطلال وأطواف. وعن ابن عباس كانت لرسول الله ﷺ سبعة أعز منايح. والمنايح جمع منيحة وهى التى يعطيها الإنسان غيره ليأكل لبنها ويردها والله أعلم.

وروى الثعالبى فى تفسيره فى الأنعام فى قوله ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [1] من حديث عبد الله بن ميمون القداح عن شهاب ابن خراش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال أهدى للنبى ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بحجل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بـــى ملياً فقال لى يا غلام قلت لبيك يارسول الله. قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، وقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لما قدروا عليه ولو جهدوا إن يضروك بما لم يكتبة الله عليك لم يقدروا عليه؛ فأن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فأن لم تستطع فاصبر فأن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع الكرب الفرج، وأن مع العسر يسراً.

وإنما أوردت هذه الوصية وختمنا بـــها هذا الكتاب لما تضمنته من الفوائد والآداب التى يدور طريق القوم جميعه عليها ولو تأملها الإنسان حق التأمل كانت تمام الأرشاد. أما قوله أهداها له كسرى ففيه نظر إلا أن يكون المراد به ابن يزدجرد الذى كاتبه النبى ﷺ فأنه قام بعد أبيه، وقوله فركبها بحجل من شعر فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع والزهد فى الدنيا وعدم

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٧

المبالاة بشئ منها، وهو أول مراتب القوم فأنه لايصح الدخول فى طريقهم إلا بعد إخراج الدنيا من القلب وعدم المبالاة بها والأهتمام بشأنها ونزع همها بالكلية ليتوجه القلب إلى مطلوبه إذا القلب ليست له إلا وجهة واحدة كالمرآة إذا توجه إلى جهة اعرض عن غيرها. مصداقة من كتاب الله سبحانه ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[1] وكذلك يقولون أول قدم يضعه المريد فى طريقنا الزهد فى الدنيا فهو أصل الأصول الذى تبنى عليه جميعها وهو كان حاله صلوات الله وسلامه عليه وحال الأنبياء كلهم وأكابر أصحابه وأعيان السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

بل هذا مقتضى العقل فضلاً عن الشريعة والطريقة ومحل بسط ذلك كتب القوم. واتفق الفقهاء أن الإنسان إذا أوصى بشئ من ماله لأعقل الناس يصرف إلى الزهاد. وقوله اردفنى فيه جواز الأرداف على الدابة بل استحبابه لواحد وكراهته لأثنين لنهى فيه وهو من التواضع الذى هو الأصل الثانى فى الطريق لأنه ورد [لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر] والجنة تشمل دار الأبرار الذى هو مقام الإسلام والإيمان فكيف بمن يريد مقام المقربين الذى هو مقام الإحسان أنى ينال منه شيئاً مع شئ من الكبر فلابد فى طريقنا من التواضع الذى أوله عدم احتقار أحد من المسلمين وقبول الحق ممن جاء به وغايته أن يرى نفسه دون كل جليس. ومن تتبع أخلاق رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة علم أنه أخذ من التواضع بالعروة الوثقى واكتال منه بالمكيال الأوفى.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤.

وضرب فيه بالقدح المعلى بل احتوى منه على الغاية التى لا تدانى فأن الطريق عبارة عن اتباعه صلوات الله وسلامه عليه فى أقواله وأفعاله وأخلاقه. وأتباعه فى الأخلاق هو الغاية التى تسابق إليها همم القوم فمنهم المجلى فى مضمارها والمصلى بخلاف علماء الظاهر فأن جل نظرهم إلى ما هو مناط الأحكام من أقواله وأفعاله وتركوا التخلق إلا نادراً حتى ان المتخلق منهم يسمى بينهم صوفياً فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً. وهذا أعظم سند كشرف هذه الطائفة ومرادنا بهم من لم يتجاوز حداً من حدود الظاهر بل مع رعاية الأحكام الظاهرة بأسرها ترقى إلى التخلق بالأخلاق الباطنة بحسب ما قدر له منها فهذا هو الصوفى وطريقهم رعاية أخلاق رسول الله ﷺ بحسب طاقتهم بعد المحافظة على ما حافظ عليه غيرهم من الأقوال والأفعال . فمن ذلك ما أشار إليه هذا الحديث الشريف بقوله: أحفظ الله يحفظك ، ففى احفظ الله مقدر بدلالة الاقتضاء وأولى ما يقدر وصية الله لأنها المتعارف بمتعلق الحفظ. ووصية الله للعالمين التقوى قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) فيكون معنى احفظ الله حافظ على تقوى الله أو حق الله لما فى حديث الصحيح عن معاذ بن جبل تدرى ما حق الله على العباد قال قلت الله ورسوله أعلم قال فأن حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً. يامعاذ بن جبل هل تدرى ما حق العباد على الله من باب المشاكلة اللفظية إذ لا يستحق أحد على الله شيئاً لأنه المالك لأنفس العباد وأعمالهم بل هو الخالق لذلك كله فثواب العباد تفضل. ونكتة المشاكلة بعد التجنيس

---

(١) سورة النساء الآية ١٣١.

اللفظى التأكيد كقوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[1] فيؤدل المعنى فى قوله احفظ الله ولا تشرك بالله شيئاً تسلم من عذابه. ومآل التأويلين واحد فأن التقوى فى الأصل اتخاذ الشئ وقاية. ولها مراتب أولها توقى الشرك وأعلاها توقى الألتفات بعين البصيرة لغير الله تعالى كما بينا ذلك فى تفسير سورة ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾[2] فأنها تؤل إلى عدم الأشراك بالله شيئاً فأن المعاصر كلها من شعب الكفر الذى هو الشرك كما أن الطاعات كلها شعب الإيمان بل المكروهات وخلاف الآداب الشرعية جميعها من قطرات الشرك وآثاره إذ الموحد حقيقة التوحيد لا يصدر منه ترك أدب أصلاً وعمداً وان صدر منه فعلى سبيل السهو والخطأ ويتداركه الله برحمته بحكم قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[3] فأنظر هذه الأشارة فى قوله تذكروا.

وروى فى تفسير قوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[4] أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وعلى هذا ربما كان تقدير الوصية وحملها على التقوى. والتقوى على كمالها أعم من تقدير الحق إذا فسر بعدم الأشراك بالله شيئاً وإن حمل الحق على اطلاقه تناول ما تناولته حقيقة التقوى من الشكر والذكر أيضاً فآلا إلى شئ واحد وقوله يحفظك الله أى من

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٤.

(٢) سورة الأعلى الآية ١.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

عذابه وحذف متعلق الفعل للعموم أى من كل أنواع عذابه أو من كل ما تخشاه أو يؤذيك وكله واحد فأن كل مكروه ومؤذ فهو من عذاب الله تعالى دنيوياً كان أو أخروياً فمن اتقى الله حق تقواه أو حفظ حقوقه كلها لم ينله من جنس العذاب مكروه أبداً. فأن قلت كيف يمكن حمل هذا على عمومه مع أن النبيين صلوات الله عليهم وسلامه ورؤساء المتقين الحافظين لحقوق الله سبحانه وحدوده ومع ذلك اصابتهم فى الدنيا المحن العظيمة والمكروهات الجسيمة وقد قلت أنها كلها من العذاب قلت ليس كل مكروه للنفس من العذاب كما أنه ليس كل محبوب من النعم يدل لذلك الحديث الشريف « لا خير بخير بعده النار »[1] فكذلك يلزم أنه لا شر بشر بعده الجنة فكل خير تعقبه النار لايسمى خيراً إلا مجازاً أو غلطاً. وكذلك كل شر تعقبه الجنة لايسمى شراً إلا كذلك فما أصاب النبيين والصديقين وأشباههم من المكروهات ليس من الشر والعذاب فى شئ بل هو النعم والنعيم الظاهر فى غير صورته ولذلك كان كثير من أهل الله يتلذذون بالبلاء ويؤذيهم فراقه كما هو عنهم مشهور وفى أخبارهم مسطور قال قائلهم:

وكم محنة فى طيها منك منحة يشاهدها من ليس يلهو يغفل

وقال الفاضل الأبوصيرى[2] رحمه الله تعالى فى همزيته:

كل أمـــر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخـــاء

---

(١) رواه الدارقطنى.

(٢) صاحب البردة.

لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

ولله دره فقد افصح عن كثير من الحقائق فى نظمه هذا. رجع إلى ما تحت ألفاظ الحديث ومما يؤيد ما ذكرناه ما رويناه فى الحلية لأبي نعيم عن رسول الله ﷺ أنه قال الصواعق تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب الذاكر فيقاس بالصواعق غيرها من المحن فلا يصيب الذاكر منها شئ ولا يصاب أحد بسوء إلا مع الغفلة إذا كان من جنس العذاب والعياذ بالله. وذكر الله فحواه حضور القلب فلو كان ذاكراً بلسانه غافل القلب لايسمى ذاكراً حقيقة وإذا كان حاضر القلب فهو ذاكر وإن كان ساكت اللسان. ومن يراعى حدود الله ويتقيه هو الذكر على الحقيقة فهو فى حصن الله من عذاب الله يشهد لذلك ما نقله العلامة ابن حجر الهيثمى وغيره. قال: لما دخل على الرضا مدينة نيسابور خرج العلماء إلى لقائه وكان على بغلة وعلى رأسه مظلة من الشمس غطى بها وجهه وكان فيمن خرج إليه حافظ الدنيا أبو زرعة الرازى فلما تلاقيا سأله الحافظ أن يقف لهم ويسفر عن وجهه المبارك ويملى لهم حديثاً عن آبائه الطيبين ليروه عنه فوقف ورفع المظلة عن وجهه وأقر العيون بطلعته فصار الناس بين صارخ وباك، ومتمرغ على الأرض أما بغلته فناداهم المستملى معاشر الناس انصتوا وأسمعوا حديث رسول الله ﷺ فقال حدثنى أبـــى موسى الكاظم بن جعفر قال حدثنى أبى جعفر الصادق بن محمد قال حدثنى أبى محمد الباقر بن على قال حدثنى أبى على زين العابدين الحسين قال حدثنى أبـــى الحسين بن على بن أبى طالب قال حدثنى أبـــى على بن أبـــى طالب رضوان الله عليهم أجمعين. قال حدثنا رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه

قال لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمنته من عذابـــى. قال الإمام أبو نعيم قال بعض سلفنا من المحدثين لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق. أقول أنا سقته هنا رجاء بركته أحيانا الله على محبتهم وحشرنا فى زمرتهم اللهم آمين.

وقوله احفظ الله تجده أمامك جملة تذييلية لتأكيد مضمون الأولى وقد يسمى مثله بالترديد كقوله ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾[1] وهو أن يعلق الثانى بغير ما علق به الأول وبه فارق التكرير. والضمير فى تجده يجوز ارجاعه إلى الله وإلى المضاف المقدر وإلى المصدر المعلوم من الفعل السابق وعلى الأخير لا يحتاج إلى تقدير وعلى الأولين لابد من تقدير مضاف أيضاً فعلى الأول مثل عونه ونصرته وعلى الثانى جزاءه ونحوه. ومعنى أمامك أى فيما تستقبله أو حاضراً لديك فهو مجاز عن الزمان أو كناية عن الحضور فيكون كقوله أنا مع عبدى إذا ذكرنى كما فى الصحيح وقوله « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » يعنى أن النفوس البشرية بما فى جبلتها من الفطرة الالهية إذا اشتد بها الكرب وضاق الخناق رجعت إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء. وليس فى هذا فضل المؤمن على كافر فأن الكفرة هذا رأيهم أيضاً كما أخبر عنهم القرآن العظيم بذلك فى غير موضع وربما أجيبوا فى هذا الحال مع كفرهم اقامة للحجة عليهم وقطعاً للمعذرة وربما لا كما قيل لفرعون ﴿أَلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]

---

(١) سورة النور الآية ٣٥.

(٢) سورة يونس الآية ٩١.

فأنه ما قال ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾[1] إلا مستغيثاً من الغرق، وانما لم يجب لأنه كان تكرر منهم العهد لموسى عليه السلام لما كان يرسل الله عليهم نوعاً من العذاب كالجراد والقمل أنه إن دعا الله وكشف عنهم ذلك ليؤمنن به كما قص الله شأنهم وعذروا فأرشد نبينا صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الحديث إلى أنه لاينبغى للمؤمن أن يكون غافلاً عن الله حتى تنزل به الشدة فيستغيث حينئذ فربما لايجاب مجازاة له على اهماله ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[2] اعرضوا عن الله فأعرض عنهم، بل يكون فى حال الرخاء شاكراً ذاكراً فأذا قضى عليه بشدة حفه اللطف من كل جانب حتى تمر تلك الشدة المقضية وكأنه لم يشعر بها، بل ربما يشعر فالتعرف إلى الله تعالى فى الرخاء الشكر عليه والأستعانة به على طاعة الله تعالى وعدم الأشتغال به عن ذكره فأذا قضى على العبد بعده بشدة كان حقاً على الله أن يلطف به فيها ويجيبه إذا دعاه بكشفها. وأما نفس الشدة فحق الله سبحانه عل العبد فيها الصبر، وان ترقى إلى الرضى فهى الغاية القصوى والصبر والرضى لايعطاهما العبد فى الشدة إلا إذا كان ممن يتعرف إلى الله فى الرخاء فقد بشر الله على الصبر بما تستعذب به مرارته فقال سبحانه ﴿ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ﴾[3] الآية.

وأما الرضا فجزاؤه الرضا الذى هو أفضل الجزاء ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[4] فإذا كان العبد فى الرخاء

---

(١) سورة يونس الآية ٩٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٥.

(٤) سورة فصلت الآية ٣٥.

كذلك حقه اللطف فى الشدة كما قلنا ونزلت عليه السكينة وألهم الصبر والرضا وإن دعا استجيب له ولا ينافى الدعاء الصبر ولا الرضا كما هو معلوم من شأن الأنبياء. والجملة أى قوله [تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة] استعارة تمثيلية وفى كل من الفعلين استعارة تبعية وقوله إذا سألت فاسئل الله ترق فى الإرشاد واشارة إلى أن العبد أول ما يجب عليه بعد معرفة الله تعالى رعاية حقوقه بحسب الأستطاعة واستفراغ الوسع للقيام بذلك . فأذا فعل ذلك وقد خلق مفتقراً إلى ما يقيم أوده ويمسك بنيته فلا بد من طلب ذلك والظاهر أنه بأيدى الخلق لأن الإنسان يولد وما على وجه الأرض شئ إلا وهو فى يد انسان حريص عليه شحيح به وينشأ كذلك فربما توهم أنه لابد له من طلب ذلك منهم أو من نفسه بتكليفها تحصل شئ من ذلك. وهذا يشغله عما طلب منه أولاً فأرشد إلى أن ذلك جميعه بيد الله سبحانه وتعالى هو وملاكه الظاهرة (هكذا) ليس إلى أحد منهم نفع ولا ضر فأذا أراد أن يسأل شيئاً من ذلك وهو سائل ولابد لأفتقاره ولذلك صدرت الشرطية بأذا المشعرة بتحقق الوقوع فليسأل من بيده ذلك وليس إلا الله عز وجل. وكذلك الإنسان مدنى بالطبع لا يتم له أمر معاشه ولا معاده بنفسه بل لابد له من الأستعانة بغيره فقيل له [وإذا استعنت فأستعن بالله] فأن الخلق نواصيهم بيده إن شاء أقبل بهم عليك وإن شاء صرفهم عنك فلا تشغل نفسك بهم وكل من الجملتين تفيد الحصر لأنهما بمعنى لا تسأل غلا الله تعالى ولا تستعن إلا به كما لا يخفى تحقيقه أن أدوات الشرط تفيد العموم فيكون المعنى كلما أردت السؤال فاسئل الله فيفيد بمعونة المقام أن لا تسأل سواه. وهذه مرتبة أخرى فى مراتب السلوك فأنه لابد لك

من قطع النظر عن الخلق رأساً وهو المقام المسمى بالتوكل المنوه بشأنه في القرآن العظيم لاسيما قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] فلابد من تصحيح التوكل وهو عدم اعتماد القلب على شئ من الأسباب وعلامة ذلك عدم اضطرابه عند فقدها ليتم له التوجه إلى الله تعالى وإلا فما دام يرجو شيئاً غير الله أو يخافه لابد وأن يشتغل القلب به وقد قدمنا أن القلب إذا توجه إلى شئ أعرض عما عداه فأين التوجه إلى الله مع ملاحظة سواه وهذا أصل عظيم من أصول الطريق حتى ربما كابده بعضهم السنين ذوات العدد وذلك لبعده عن الطبع إذ النفس مجبولة على التشبث بما تتوهم منه النفع والتوقي عما تتوهم منه الضرر والأسباب العادية نصب عينها تشاهدها دائماً يصدر عنها من النفع والضر ما تعاينه، والشيطان والهوى يساعدان الطبع على الميل إلى الأسباب والتشبث ولم يبق إلا العقل المنور بنور الإيمان فأنه إذا حقق النظر علم أن جميع ما يظهر له الأمر بخلافه. والدلائل العقلية متوافرة على ذلك وهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية طافحة بذلك فالتوكل يكون عن الإيمان بالقدر فهو رتبة من رتب الإيمان وضعفه وقوته بقدر الإيمان بالقدر وزناً بوزن وبسط ذلك وتحقيقه في كتب القوم ومن أظهر الأدلة الصادرة عن مشكاة النبوة هذا الحديث وقد حققه بقوله قد قضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقبضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه. قوله قد مضى القلم أى جرى أو مضى حكمه

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.

وإضافة الحكم إليه من مجاز الإسناد ففيه حينئذ مجازان وعلى الأول مجاز واحد وفيه دليل لسبق القضاء وهو الحكم الأزلى على الأشياء بما هى عليه فيما لايزال. واختلفوا هل يرجع إلى العلم أو الفعل أو الأرادة ذهب إلى الأول الفلاسفة وإلى الثانى الماتريدية، وإلى الثالث الأشاعرة وهل هو والقدر مترادفان أولاً الأكثر على الثانى فقال الفلاسفة القضاء عبارة عن علمه تعالى بما ينبغى أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام وهو المسمى عندهم بالعناية الأزلية التى هى مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجه إلى الوجود العينى بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء. وقال الماتريدية القضاء هو الخلق والقدر جعل كل شئ على ماهو عليه فالفرق بينهما كالفرق بين المطلق والمقيد. وقال جمهور الأشاعرة القضاء هو الأرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص. والقدر تعلق تلك الأرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة كالأجمال والتفصيل، والنظر بين هؤلاء يخرج بنا عن الصدد. ثم فرغ على ذلك قوله فلو جهد الخلائق الخ. ومعناه ظاهر والجملة بأسرها كالتعليل لقوله إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله.

وقوله فأن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فأن لم تستطع فاصبر فأن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. الفآء فصيحة أى إذا علمت ذلك فاعمل بالصبر، إذا نزل بك أمر حتى يكون الذى أنزله هو الذى يرفعه مع اليقين أنه ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٧.

وهذا هو الغاية فى مقام الصبر أن يصحبه اليقين وهو الذى يهون الصبر على الصابرين فقوله (فأن لم تستطع فاصبر) الخ إشارة إلى أن أشق الأمرين اليقين إذ اليقين إذا حصل فالصبر فرعه وأنه مقام المقربين لأنه من مقامات الأبرار: ولذلك قال [فأن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً] من ذلك أنه يثمر الرضا بالتمرن عليه ومحبة الله تعالى كما قال ﴿ ان الله يحب الصابرين ﴾[1] إلى غير ذلك من الثواب الجزيل والثناء الجميل حتى ورد أن كل عمل له ثواب بقدر إلا الصبر فأن ثوابه غير محدود قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2] والصبر أعظم أصول الطريق الذى لا يستغنى عنه السالك من ابتداء سلوكه إلى انتهائه حتى يترقى عنه إلى الرضا الذى هو روحه.

ثم أن النبى ﷺ حرض عليه بقوله واعلم أن النصر مع الصبر وذلك لأن الصبر حبس النفس على ما تكره ففيه التبرى من الحلول والقوة ورد الأمر إلى الله تعالى وحينئذ يتحقق النصر أما فى الآفاق ﴿ فما النصر إلا من عند الله ﴾[3] ليس بالقوة والكثرة واستزاله ليس له أنفع من التبرى من الحول والقوة وشواهد أمثاله كثيرة شهيرة. وأما فى الأنفس فأن حبس النفس فيه كسر جنود الهوى ونصر جيوش العقل والهوى وقوله ﷺ وإن مع الكرب الفرج مؤكد لمضمون الأول لأنه إذا تحقق الأنسان قرب الفرج احتمل مشقة الكرب. فصبر ومثله ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾[4] فأن قلت كيف يقارن الفرج الكرب واليسر العسر،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٦

(٢) سورة الزمر الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٦ .

(٤) سورة الشرح الآية ٥ .

وما معنى هذه المعية قلت قالوا فى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1] أنه مبالغة فى تقريب اليسر وتعقبه حتى كأنه معه ففيه استعارة تبعية كذا قال الشهاب (الخفاجى) فى حاشيته شبه التقارن فيه بالتقارب فاستعير لفظ مع بمعنى بعد وليست تبعية كما توهم انتهى.

وكأنه يقول أنها استعارة ظرف لظرف فهى تصريحية لا حرف لحرف ولك أن تقول القائل بالتبعية أراد أنه استعير مع الحرفية لمعنى الفاء التعقيبية وعلى كل ففى الكلام تجوز ولو حمل على حقيقته وأريد بالفرج واليسر لطف الله سبحانه وتعالى بالعبد فأنه لاينفك عن القدر كما قال العارف ابن عطاء الله:

من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره

فلطف الله تعالى يقارن المصائب والكرب وهو عين الفرج واليسر لكنه باطن وهذه ظاهرة تنجلي ويبدو من تحت حجابها شمس السرور والفرح.

والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً له الحمد فى الأولى والآخرة نسأله دوام الطاقة الوافرة واسباغ آلائه الباطنة والظاهرة، وبتمامها بالتوفيق للشكر عليها المنتج للمزيد أن يغمرنا فى تيار الرضا بقضائه المديد، وأن يلحقنا بالسابقين وأن يحشرنا فى موكب المقربين، وأن يختم أعمالنا بما يرضيه عنا ..

انه أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) سورة الشرح الآية ٤.

المصادر والمراجع

١- أنساب الخيل - لابن الكلبى توفى سنة ٢٠٤هـ - الدار القومية بالقاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م تحقيق أحمد زكى.

٢- الخيل - لأبى عبيدة معمر بن المثنى توفى سنة ٢٠٩هـ - الطبعة الأولى الهند ١٣٥٨هـ.

٣- الخيل - للأصمعى توفى سنة ٢١٥هـ . مجلة كلية الآداب - العدد الثانى عشر ١٩٦٩م تحقيق د. نورى حمودى القيسى - بغداد.

٤- فضل الخيل - للحافظ الدمياطى توفى سنة ٧٠٥هـ الطبعة الأولى - حلب ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م بعناية محمد راغب الطباخ - حلب.

الفهرس

رقم الصفحة

مقدمة المؤلف ٣

مقدمة المحققه ٧

الباب الأول: فى أصل خلقها واشتقاق اسمها وأول من اقتناها وما قيل فى الفرق بين ذكرها وأنثاها. ١٣

الباب الثانى: فى فضل اقتنائها وإعدادها للجهاد وما ورد فى ذلك من مواقع النجوم الأعجاز وتفسيره بوجوه الأيجاز. ٤٧

الباب الثالث: فى الأحاديث الواردة فيها (وفيه فصول) فى تقليدها القلائد وخدمتها بالنفس واحتباسها فى سبيل الله وفضل ذلك. ٦٥

فصل فى احتباسها فى سبيل الله وما يتصل به. ٧٣

الباب الرابع: فيما يتعلق بها من الأحكام. من ذلك الزكاة. ٨٣

الباب الخامس: فى أحكام السباق عليها وما ورد فى ذلك وأسماء خيل السباق وما يلتحق به. ١٠٣

فصل فى بقية أحكام تتعلق بها. ١١٣

الباب السادس: فى ألوانها وشياتها وصفاتها وما يمدح من ذلك وما يذم. ١١٩

فصل والألوان المذكورة فى هذه الأحاديث الشقرة أخ. ١٢٣

فصل فيما جاء من بركتها وشؤمها. ١٣٥

رقم الصفحة

الباب السابع: فى أمزجتها وخواصها وأدوائها وعلاجاتها وما يتصل بذلك. ١٤٣

الباب الثامن: فى تسمية خيل النبى ﷺ وأسماء دوابه وما وصل إلينا من أسماء خيل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. ١٥٥

المصادر والمراجع ١٩٣